

الأخلاقيات الرقمية والحدثة في التواصل الإنساني

أحمد عبدالله الأحمد* ماجدة أحمد عمر، أمجد أحمد هديب**

ملخص

إن الثورة الرقمية التي تشهدها الحضارة الإنسانية والتطور التكنولوجي يزيدان من درجة التعقيد ويأخذان أبعاداً عالمية، حيث يتخللها الكثير من التحديات والإشكاليات الأخلاقية. يتناول هذا البحث الأخلاقيات الرقمية من جانب فلسفي، والتي لا بد من أخذها بعين الاعتبار في ظل سيادة العصر الرقمي، من أجل حل وتفادي الإشكاليات الأخلاقية الناشئة. وخُصص البحث إلى ضرورة التفكير في أبعد من الحقائق والنظريات ذات الصلة بالمعايير الحالية لتشكيل الوعي الأخلاقي الذي يستدعي ويؤكد على ضرورة نشر ثقافة المعلومات وأخلاقياتها.

الكلمات الدالة: الأخلاق، تكنولوجيا المعلومات، تكنولوجيا الاتصالات، أخلاقيات الحاسوب.

المقدمة

وسيلة من أجل تحقيق غايات، لهذا التصور الأداتي للتقنية يوجه كل الجهد ليضع الإنسان في علاقة صائبة مع التقنية، وإن الاستعمال الجيد لهذه التقنية على أنها وسيلة هو النقطة الجوهرية في هذه المحاولة، ولهذا نريد أن نتحكم في التقنية ونوجهها لصالح غايات روحية ونريد أن نصبح سادة عليها حيث إن إرادة السيادة هاته تصبح أكثر إلحاحاً كلما هددت التقنية أكثر بالانفلات من مراقبة الانسان". (هيدجر، م. 1995: 45) وشهدت العقود الماضية ثورة في مجال الحوسبة والاتصالات، وتشير جميع الدلائل إلى أن التقدم التكنولوجي واستخدام تكنولوجيا المعلومات سيستمر بوتيرة سريعة، ووفقاً لقانون مور (Moor)، فإن قوة المعالجة للبيانات في الرقائق الإلكترونية المستخدمة في الحواسيب تتضاعف كل (18) شهراً. (Lee K 2002: pp. 1-4)، مع أن هذا التطور له انعكاسات متعددة على التطور التكنولوجي بشكل عام. كذلك نشهد التطور على مستوى البرمجيات والتطبيقات الحاسوبية التي تتعامل مع المعلومات بأنواعها المختلفة سواء كانت هذه المعلومات على شكل نص أو صور أو فيديو وهذا أدى بدوره إلى تحميل الكم الهائل من المعلومات على الشبكة العالمية.

ولذلك، تنير العلوم والتكنولوجيا بصورة مشروعة الخوف من خطورة التقنية عبر تغييرات كيفية للعمل الإنساني، فالتكنولوجيا

إن التكنولوجيا لا تفعل أي شيء بشكل مستقل عن الإنسان، إلا أن هناك بعض الحالات التي ضعفت بها سيطرة الإنسان على النتائج المحتملة لها جراء إعمارها الكون، وعندما يتعلق الأمر بالتكنولوجيا، لا بدّ أن نتذكر مسؤولية الإنسان تجاه الاستخدام المتعدد لها وفي تطوير منتجاتها الجديدة للحد من انحرافها بالاتجاه السلبي وتأثيرها في الجوانب المختلفة في حياتنا ولاسيما تلك التي تؤثر في رفاة الآخرين، مثل السلامة، والثقة، والخصوصية وغيرها، مع أنّ التقدم التكنولوجي يخلق حتماً الاعتماد على التكنولوجيا أكثر فأكثر؛ لأن العالم اليوم يعتمد على وسائل النقل الحديثة، والهاتف، وغيرها من البنى التحتية، كما يعتمد على البنية التحتية المرتبطة بتكنولوجيا المعلومات. ولذلك "يظل من الصائب أن التقنية الحديثة هي أيضاً،

* بحث مسنل من أطروحة دكتوراه للباحث الأول وإشراف الباحث الثاني ومشارك في الإشراف الباحث الثالث، قسم الفلسفة، كلية الآداب، الجامعة الأردنية، عمان.

** قسم الفلسفة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

** كلية الملك عبدالله الثاني لتكنولوجيا المعلومات، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

تاريخ استلام البحث 2016/1/11 وتاريخ قبوله 2016/9/27.

ما يميز سلوك الإنسان عن غيره من أفراد الحيوان، وفي مقدور الفاعل تغيير أو تعديل الفعل بمحض إرادته". (وليام، ل. 2000: ص 26-27). لقد ساهمت تكنولوجيا المعلومات والإنترنت في التواصل بين المجتمعات وانفتاحها وتجاوز ذلك الحدود والقيود الدولية إلا أن هذا التواصل يواجه بعض الإشكاليات في اختلاف بعض المعايير الأخلاقية ومدى قبولها وتطبيقها ضمن المجتمعات المختلفة.

إنَّ الغرض من التكنولوجيا بشكل عام هو تحسين وتسهيل حياتنا، تماماً كما هو الهدف من استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في حياتنا اليومية، ولكن التساؤل هنا: هل يتم ذلك بشكل عادل ويحقق المساواة للجميع؟ والتقدم والتطور في تأمين الرفاهية للعصر الحالي يعتمد في الأغلب على إدارة تكنولوجيا المعلومات، وعملية تطور تكنولوجيا المعلومات والاتصالات جلب العديد من المنافع الهائلة، إلا أن هذا التطور يرافقه التعقيد الذي يجلب الآثار السلبية الضمنية التي يجب معرفة مدى تفاقمها، ومثال ذلك الشجرة التي تنمو وتنتج غصوناً وأوراقاً وتعلو لتصبح الفروع بعيدة المدى وتتباعد بسرعة عالية أخذةً في التمدد على نحوٍ عشوائي، ومبتعدة عن الجذور المفاهيمية والأخلاقية والثقافية، ويُحدث حالة من عدم التوازن لدى الملايين من البشر في الوصول إلى آليه صحيحة في التعامل مع القضايا الأخلاقية ذات الصلة بتكنولوجيا المعلومات. وتكمن الخطورة في أن تصبح هذه الشجرة ذات جذور ضعيفة لا تعود بعدها تقوى على الاستمرار في دعم وتحمل المزيد من النمو في الجزء العلوي، ويصبح معها الأساس هشاً في الأسفل فتتهاوى وتتهار بعد كل الجهد والكد في البناء والتطور. ولذلك فإن المجتمعات المتقدمة تواجه المهمة الملحة لإيجاد فلسفة ملائمة للحياة الجديدة، وأخلاقيات المعلومات تعزز من فهمنا النظري للعصر الرقمي، وتمنح الفرصة لاستباق الصعوبات في حل المشاكل والمعضلات. (Floridi, L. 2010: p. 5)

وهذا التطور والتغير الهائل من جيل إلى جيل في تكنولوجيا المعلومات، سيؤدي إلى تغير في كل ما يُعنى به الإنسان، وبالتالي التغير في الإنسان نفسه وأجيال البشرية القادمة، كما ويمكن أن يكون هناك تغيير أكثر عمقاً لقيمنا الأخلاقية، وإذا كان هذا صحيحاً فإنه يفرض وضع العديد من المطالب الأخلاقية، ومنها القيمة الأخلاقية في الحماية والحفاظ على

الجديدة تعمل على زيادة قدرات الإنسان زيادة ضخمة، وأصبح هو ذاته فاعل تقنياته وموضوعها معاً؛ لأن الإنسان ينزع الخطورة في التجريب والتجديد وليس في المجالات خارج الإنسان فقط، بل في كيان الإنسان ذاته، وأصبح ينقلب ذلك إلى تهديد، ويدعو إلى صياغة معايير للأخلاقيات التي تحكم هذه التكنولوجيا بأنواعها، وعندما يهدد العلم الإنسان تكون التفاؤلات القديمة بالية، وندرك أن العلم يحقق أعظم الشرور، فكيف لا تستلزم هذه الأخطار القائلة وضع معايير أخلاقية جديدة إجرائية ومبيرة في السياق المعاصر؟ (روس، ج. 2001: ص 19)

وكما إن ثورة الحوسبة والاتصالات لها آثار اقتصادية واجتماعية وثقافية عديدة على المجتمع المعاصر، وهو ما يتطلب ذلك الدراسة والتحقيق الجدي من قبل العلوم الإنسانية والاجتماعية، من أجل إدارة المخاطر وتلافي الأخطار التي قد تحدث، وسيكون هذا العمل قيماً لكل من النواحي الاجتماعية وتصميم التكنولوجيا معاً (Lee)، (k. 2002)، ولاسيما بعد التطوير والانتشار الهائل الذي شمل تطوير التجهيزات الشبكية والموزعات الرقمية وزيادة القدرة على التحويل الرقمي للمعلومات وإرسالها من خلال هذه الشبكات، والتي كانت سبباً رئيساً في التوسع الهائل للإنترنت وانتشارها بعد خصخصتها في التسعينيات من القرن الماضي. وشجع انتشار الحواسيب الشخصية البشرية على استعمال البرامج الحاسوبية وتطبيقاتها، وتحمل المعلومات على الأجهزة الحاسوبية وعلى شبكة الإنترنت، إضافة إلى إتاحة التواصل والوصول إلى محتوى الإنترنت، ومشاركة الجميع في هذه العملية التفاعلية، وبالتالي الطلب الاجتماعي المتزايد على الربط الشبكي، إضافة إلى رغبة البعض في بناء شبكات الاتصال الخاصة فيهم. (Castells, M. 2013: p. 61)

الأخلاق والتكنولوجيا

يعرّف علم الأخلاق: بأنه "العلم المعياري لسلوك الكائنات البشرية التي تحيا في المجتمعات، وأنه العلم الذي يحكم على مثل هذا السلوك بالصواب وبالخطأ، فالأخلاق إذاً علم معياري، وهو كذلك علم معياري للسلوك، والسلوك اسم جمعي للأفعال الاختيارية، وتلك الحرية التي من خلالها يقوم بالاختيار، وهذا

والعقلانية والحرية، وأهم مظهر من مظاهر فشل الحداثة في نظرة، هو أن نصف البشرية تواجه التعقيد والنصف الآخر يواجه المجاعة. أما هيرماس، فقد وجد في النقد الكانطي سبيلاً للتساؤل حول آئنتنا الحالية، ويرى أنه بدلاً من التخلي عن مشروع الحداثة، يجب القيام بالفحص النقدي لهذا المشروع واطهار سلبياته وإيجابياته واستخلاص الدروس اللازمة من ذلك، متسائلاً عن الكيفية التي لا بدّ فيها من ظهور المعايير التي تضع حدّاً للانقياس الأخلاقي. (حسن، أ. 2012: ص 89-122)

العلاقة بين تكنولوجيا المعلومات والأخلاق.

إن الهدف من التكنولوجيا لا بدّ أن ينصب في خدمة الإنسانية وإسعادها، وليس في اتجاه 'المعرفة القاتلة' ويرى كارل بوبر أنه "لا بد أن يكون لأي فعل عقلائي هدف معين، وهو عقلائي بنفس الدرجة؛ لأنه يتعقب هدفه بوعي وباتساق؛ ولأنه تحدد وسائله وفقاً لهذا الهدف، ولذلك فاختيار الهدف هو الشيء الأول الذي يتعين أن نفعله إذا رغبتنا في أن نؤدي عملاً بصورة عقلانية". (بوبر، ك. 1998: ص 159)

بالإضافة إلى أن المعايير والقواعد الأخلاقية تمنع البشر من إيذاء بعضهم البعض، وهي المبادئ الأساسية والأكثر حيوية لرفاهية البشر من أي مبادئ أخرى مهما كانت مهممة، والتي تحدد أفضل الطرق لتسيير الشؤون الإنسانية، وتحديد العلاقات والمشاعر الاجتماعية للنوع البشري. (مل، ج. 2012: ص 113)

ولكي نكون قادرين على فهم العلاقة بين تكنولوجيا المعلومات والأخلاق، من الضروري أن ندرك العلاقة بين التكنولوجيا والإنسان، فلا يكفي أن نفهم كل ما يدور حول العلوم التطبيقية من أجل تحقيق مكاسب في العمل، بل يجب أن تكون الاهتمامات خاصة بالشخص نفسه وبمصيره بوصفه إنساناً، ويجب دائماً الاهتمام بالمساعي التقنية. (انظر: Johnson, D. 1985) ويمكن تقسيم فهم العلاقة بين تكنولوجيا الحاسوب والأخلاق إلى خطوتين:

الخطوة الأولى: هي المعرفة والتأكيد بأن هناك تواصلاً حاسوبياً. الخطوة الثانية: هي ربط أفعال الإنسان بالأخلاق، وهذا السلوك يمكن أن يكون أكثر تعقيداً، لأن علاقتنا بالحاسوب تعمل

الطبيعة، وكون الإنسان هو أكثر القوى المسيطرة والمستفيدة في هذه الطبيعة، فمن الأولى أن يتم مراعاة هذه القضايا وتأثيرها على الحياة البشرية. (Moor, J. 2005: pp. 111-119)

ويشير هيرماس إلى تعاضد دور العلم والتقنية، "وأن المنهج العلمي الذي قاد دائماً إلى تحكم في الطبيعة متواصل وأكثر فاعلية، في هذا العالم تقدم التقنية أيضاً العقلنة الكبيرة لحرية الإنسان، وتبرهن الاستحالة "التقنية" في أن يكون الإنسان مستقلاً، بشكل حياته ذاتياً. (بورغن، ه. 2003: ص 47)، واليوم ومع ظهور العديد من الابتكارات في مجال تكنولوجيا المعلومات الواسعة النطاق عبر العديد من مجالات المجتمع، وترابط هذه الابتكارات والتطورات، التي تطرح العديد من الانجازات والفرص في زيادة التطور، فإنها في نفس الوقت، تطرح تحديات أخلاقية كبرى ولا سيما على المدى البعيد.

وقد ساد الاعتقاد أن التكنولوجيا تزيد من قدرة الإنسان بصورة تؤدي إلى المزيد من الحرية، وبالتالي تحسين واضح للظرف الأخلاقي الإنساني، أما اليوم فهو يبدو محل خلاف، رغم أن هذا الخلاف لم يكن ملحوظاً في القرن التاسع عشر، فقد جمع اعتقاد عدد كبير من الفلاسفة على اختلاف انتماءاتهم الفكرية أن تقدم العلوم وتقدم التكنولوجيا يوسع من مجال الحرية لدى البشر، ويساهم في ترقيتهم الأخلاقية، أما اليوم فهذا الاعتقاد لم يعد يجد الإجماع نفسه. (مالفي، ع. : 342)

كما أن الاعتماد على التكنولوجيا يمكن أن يجلب المخاطر؛ لأن الفشل في البنية التحتية التكنولوجية قد يسبب انهيار الوظائف الاقتصادية والاجتماعية، فانقطاع الخدمة الهاتفية لفترة طويلة أو تعطل نظم البيانات الائتمانية، وأنظمة تحويل الأموال الإلكترونية، وغيرها من وسائل الاتصالات وخدمات المعلومات الحيوية الأخرى ربما يسبب الاضطراب الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، ويؤثر في كثير من المجالات على نطاق واسع. ومع ذلك، من المستحيل تجنب الاعتماد على التكنولوجيا على اختلاف أنواعها، ولذلك لا بدّ من دراسة ما طرأ من تغيير على أنماط الحياة والانتباه إلى الآثار التي قد تتجم وتتسبب في تدمير حياتنا اليومية. ولهذا السبب وجدت مدرسة ما بعد الحداثة من يؤيدها ومن يعارضها، فالفيلسوف ليوتار اعترض على الوضع الراهن ما بعد الحداثة فيرى أن غياب الأفق الكوني والتحرر العام يسمح لإنسان ما بعد الحداثة بالتأكد من نهاية فكرة التقدم

ويمكن إيجاد البديل عن ذلك من خلال عملية تقييم الآثار الأخلاقية وليس في نوع المنهج المستخدم فقط، وإنما من خلال التركيز على المحتوى نفسه. (Connolly, R. 2011:PP.1-2)

ويعترف الكثير من الفلاسفة والباحثين اليوم أن القضايا الأخلاقية التي تثيرها راهناً تكنولوجيا المعلومات تشكل تحدياً أمام النظريات الأخلاقية التقليدية، ويرى بعض الفلاسفة أن على الفلسفة أن تستفيد من تكنولوجيا المعلومات لأتمتة وتوضيح تجارب الفكر الفلسفي في ظل عدم وجود مشاركة حيوية في تكنولوجيا المعلومات، وعلى عكس الطبيعة في التواصل التقليدي بين البشر وتم المناداة بأن يتم قبول فكرة وجود أخلاقيات التكنولوجيا (Techno- Ethics) بجدية واهتمام؛ لأن فلسفة الأخلاق ينبغي أن تحاكي الطريقة الهندسية في الاقتراب من المشكلة لإيجاد الحلول المناسبة. (Sullins, J. 2012: p. 8)

ونتيجة تفاقم المشاكل الأخلاقية التي أحدثتها تكنولوجيا الحاسوب، أكد والتر مانر (Walter Maner) أن أخلاقيات الحاسوب تتوزع في نوعين:

النوع الأول: المشكلات الأخلاقية القديمة، ولكنها أصبحت أصعب في ظل وجود الحاسوب.

النوع الثاني: المشكلات الأخلاقية التي ظهرت بسبب تكنولوجيا الحاسوب.

وأشار (مانر) إلى أنه ينبغي لنا أن نستخدم النظريات الأخلاقية التقليدية التي قدمها لنا الفلاسفة، مثل فلسفة الأخلاق للفيلسوف الألماني إيمانويل كانط (Immanuel Kant)، والأخلاق النفعية في الفلسفة الإنجليزية، التي أثارها الفيلسوف جيرمي بنتام (Jeremy Bentham)، والفيلسوف جون ستيوارت (John Stewart Mill). (Maner, M. 1980)

وتُعد دراسة أخلاقيات الحاسوب بالطريقة التي تشكل إصدارات جديدة من المشاكل الأخلاقية المعيارية والمعضلات الأخلاقية التي أدت بدورها إلى تفاقم المشاكل القديمة، وأجبرتنا على تطبيق المعايير الأخلاقية التقليدية في عوالم مجهولة، كما أن أجهزة الحاسوب تخلق المشاكل الأخلاقية الجديدة كلياً لأن أجهزة الحاسوب أحدثت تطوراً جديداً في الأسئلة الأخلاقية التي كانت معروفة سابقاً. (أنظر: Johnson, D. 1985). وقد تم تعريف أخلاقيات الحاسوب أنها: "مشكلة نموذجية تنشأ بسبب وجود الفراغ السياسي حول الكيفية التي ينبغي أن تستخدم بها

على تغيير سلوك البشر بسبب تحول الحركات البسيطة إلى أفعال قوية جداً. (انظر: Horniak, V. 2004)

ويتجلى اليوم عظمة ما وصل إليه التطور التكنولوجي الذي حول العالم إلى مدينة كبيرة وأسهم في الاطلاع على الحضارات والانفتاح بين الثقافات، ويرى هيرماس في الحضارة المعاصرة والتطور التاريخي الذي نعيشه اليوم في عاملين:

الأول: تكون مجتمع دولي، فلا بد للقوى السياسية والاقتصادية والثقافية من أخذه بعين الاعتبار؛ لأنه يدخل في كل ميادين الحياة.

الثاني: تطور قدرات الإنسان للفعل والهدم، حيث يفرض المراقبة القانونية والأخلاقية.

ولكن كيف يتم دمج الثقافات "Integration" المختلفة التي تعيش في مجتمع معين، فيما يتعلق بالأسس الأخلاقية للمجتمع الواحد؟ هل هذه الأسس تقود الثقافات في الطريق الصحيح للعيش معاً؟ ويضيف هيرماس عاملاً جديداً في صيرورة التقاء الثقافات وتداخلها، الذي بدأ عليه تكسير الثوابت الأخلاقية، التي كانت بمثابة ركائز للمجتمع. (شهب، ح. 2013: ص70-82)

لذلك، يعد مجال أخلاقيات تكنولوجيا المعلومات موضوعاً جديداً في العلوم الاجتماعية والإنسانية حيث أن الكثير من القضايا الناشئة عن هذا المجال لم تكن معروفة في السابق، وتكمن الإشكالية في طبيعة التعامل مع هذه القضايا الأخلاقية بسبب اتباع الطريقة والمنهج ذاته في دراستها وتحليلها والمتبع في معظم القضايا الاجتماعية من خلال توضيح الآثار الاجتماعية لتكنولوجيا المعلومات المختلفة ومن ثم تطبيق النظريات الأخلاقية على تلك الآثار وما ينتج عنها، بيد أن استخدام هذا المنهج في تكنولوجيا المعلومات ربما يكون له عدة عيوب من أهمها:

أولاً: أنه يقوم على أسلوب الحتمية التكنولوجية في التفسير الاجتماعي، والتي سادت في طابع منهج البحث في العلوم الاجتماعية لعدة عقود.

ثانياً: أنه يستخدم نهج حسابي في دراسة الأخلاق، والتي تبسط درجة التعقيد الاجتماعي ودرجة الشك في الوصول إلى الحقائق، والحقيقة أن هذا هو واقع التغيير الاجتماعي التكنولوجي.

الحدثاء ومفهوم التواصل الرقمي

لا بد لنا من تمييز "مفهوم الحدثاء (Modernity) الذي يختلف عن حديث (Modern) وقد استعملت كلمة حديث في أواخر القرن الخامس عشر للفصل بين الحاضر المسيحي والماضي الروماني الوثني، بينما ظهرت كلمة الحدثاء في القرن التاسع عشر وارتبطت مفهوم الحدثاء بعصر النهضة". (حسن، أ. 2012: ص71)

وتلعب الحدثاء دوراً هاماً في مصير الأمم وفي تطورها وازدهارها ومع ارتباطها اليوم بالعصر الرقمي وثورة المعلومات الذي تشكل فيه التواصل والمعلومات "العصب الحيوي في حركة الأمم وتطورها باعتبارها منطلق الحاجة المعرفية، ذلك أن الحاجة للمعرفة تبقى المحور الرئيسي في مصير الأمم؛ لأنها تشكل الرافد الذي يغذي الحاجات الأخرى فمع جمود المعرفة وتوقف نموها تواجه الأمم نقصان حاجتها الأساسية الأخرى فتتخلف عن مسيرة الحياة وتقع أسيرة الأمم القوية التي تمتلك سلاح العلم والمعرفة". (سالم، م. 2002: ص6)

والحدثاء في العصر الحالي توجه العالم نحو خصخصة الاتصالات الرقمية، حيث أن الإندماج بين تكنولوجيا المعلومات من جهة والاتصالات من جهة أخرى أدى إلى أتحادهما، فنحن لا نستطيع ذكر تكنولوجيا المعلومات دون ربطها بالاتصالات والعكس صحيح، وبالرغم من كل الخوارزميات والبروتوكولات التي تقسم اللغة والمعلومة عبر قنوات الاتصال الرقمي في شبكات الحاسوب وموزعاتها، إلا أنها تجتمع بالنهاية عبر فعل التواصل، فإتاحة الاتصال والتواصل بالطريقة المتوفرة اليوم تفتح الأفق والحرية في عملية التواصل والتفاعل بين الذوات بشكل عام .

إن تأثير الطبيعة التشاركية لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات المعاصرة ولاسيما الإنترنت يتوقع أن تؤدي إلى تلاشي وسائل الإعلام التقليدية، إضافة إلى تلاشي بعض المنظمات السياسية والاجتماعية، كما أن التعليم "التعليم الجديد" وما يتضمنه من تحولات في المناهج وطرق التدريس والتعلم عن بعد سيحل محل التعلم في الفصول الدراسية التقليدية، وكذلك العمل عن بعد وغيرها الكثير، ونحن اليوم بحاجة إلى إعادة النظر في كل ما تحدثه الإنترنت من تغيير في القيم الأخلاقية أكثر من النظر إلى الإنترنت في حد ذاتها، لتخفيف حدة القلق

تكنولوجيا الحاسوب، فأجهزة الحاسوب توفر لنا قدرات جديدة، وبدورها تعطينا خيارات جديدة للتصرف واتخاذ القرار، والمهمة المركزية لأخلاقيات الحاسوب هي تحديد ما يجب أن نقوم به في مثل هذه الحالات، وهو ما يجعل من الضروري وضع السياسات لتوجيه أعمالنا وتصرفاتنا في مثل هذه القضايا". (Moor, J. 1985: pp. 266-275)

ولذلك فإن أخلاقيات الحاسوب تحدد، تحلل، وتعزف تأثير تكنولوجيا المعلومات على القيم الاجتماعية والإنسانية. (Connolly, R. and Fedoruk, A. 2014: p. 6) ومع تزايد التحديات الأخلاقية التي واكبت التطور كجرائم الحاسوب، ظهرت الحاجة الملحة إلى الاهتمام بأخلاقيات الحاسوب من جديد، بضغوطات رسمية من قبل المؤسسات الحكومية والحكومات والمشرعين. (Bynum, T. 2010: pp. 20-32) وعلى الرغم من إقرارها إلا أنه لا يزال هنالك شك وخلاف في اعتبارها أخلاقيات مختلفة عن الأخلاق التطبيقية، أو على أنها ضمن حدود أخلاقيات التكنولوجيا، أو على اعتبارها أنها جزء من الأخلاقيات التطبيقية. (Tavoni, H. 2001: pp. 97-108)

وثمة من يعتقد أن أخلاقيات الحاسوب ستختفي بعد أن يزداد تغلغل الحواسيب في حياتنا، وستصبح أمراً عادياً كجزء من حياتنا اليومية، على الرغم من أن الأخلاق التطبيقية لن تموت، ولكن قد لا يكون هناك أي معنى يذكر مستقبلاً للتحدث عن أخلاقيات الحاسوب كحقل مستقل في فلسفة الأخلاق. (Marturano, A. 2002: p4) إلا أن البشرية تدخل عصر التكنولوجيا المتغيرة بشكل كبير، وعلى حد تعبير (مور): "أن ثورات تكنولوجيا كبيرة ستأتي". (Moor, J. 1985: pp. 266-275) أن التطور في تكنولوجيا المعلومات وثورتها في تسارع مستمر، كما أن المواضيع الفلسفية والأخلاقية والاجتماعية وغيرها في تجدد، وهو ما دفع الباحثين والفلاسفة إلى إطلاق مشروع فلسفي جديد "فلسفة المعلومات"، لا سيما بعد أن أصبح استخدام الحاسوب لا يقتصر على المختصين، بل انتشر الاستخدام في جميع المجتمعات وعلى اختلاف الثقافات والفئات العمرية والجنس، ومع هذا الاتساع في عدد المستخدمين خلق ثورة معلوماتية بسبب حجم ما يتم تجميعه من بيانات ومعلومات يزداد يوماً بعد يوم. (Bynum, T. 2010: pp. 20-32)

والتخوف فيما نحن مقبلون عليه. (Michelfelder, D. 2000: pp. 147-152)

وتستمر التكنولوجيا المعاصرة في إحداث التغيير في جميع جوانب الحياة وما يندرج تحت مفهوم الحداثة، التي تعد في نظر الفيلسوف هيرماس نمط حضاري يتميز ويتعارض مع التقاليد، وليست مجرد نظريات أو قوانين خاصة، وإنما ملامح عامه تدعو إلى التجديد والتغيير في مقابل التقليد والمحافظة. فالحداثة، كما يراها هيرماس، موقف جديد من مختلف مناحي الحياة والمجتمع، وهي مشروع لم ينجز بعد. (حسن، أ. 2012: ص71)

وترتبط تكنولوجيا المعلومات بالحداثة ويساهم سرعة انتشارها الذي لا يعرف الحدود دعم المواطنة العالمية، ولذلك فإن أخلاقيات تكنولوجيا المعلومات عالمية ولا تختص بثقافة معينة أو مجتمع معين، وهذه الأخلاقيات تتيح التعددية الثقافية التي تعزز الانفتاح والتسامح، وتلعب تكنولوجيا المعلومات دوراً محورياً في تعزيز هذه القيم من خلال شبكة الإنترنت وتشارك المعلومات، فضلاً عن التواصل بواسطة البريد الإلكتروني وشبكات التواصل الاجتماعي، رغم أنه لا يمكن تجاهل الأثر السلبي الذي تحدثه على المجتمعات والثقافات المحلية بشكل غير مباشر من خلال مساهمة العولمة الثقافية وزيادة التواصل عبر الحدود الوطنية. (Barclay, E. 2008)

وتعتبر النزعة النفسية للتطبيق العملي في المعرفة العلمية العامل المهم والكفيل الذي يؤدي إلى تطور المجتمعات وازدهارها، مع أن هيرماس يرى أن التكنولوجيا تضيف على الأشياء صفة الأدوات وتحولها إلى مجرد وسائل، فتصبح بذلك مجرد وسائل لتكون عائق أمام التحرر، إذ يتحول الإنسان نفسه إلى أداة وهذا ما نشاهده اليوم من انجذاب الإنسان المعاصر إلى قضاء أوقات طويلة في استخدامه أدوات تكنولوجيا المعلومات، إضافة إلى استخدام هذه الأدوات في تسيير أمور الحياة اليومية. (يفوت، س. 1997: العدد الأول)

وتشهد البشرية الاهتمام الكبير في التواصل من خلال تكنولوجيا المعلومات، ولذلك لا بد أن تعزز أخلاقيات التواصل من هذه التشاركية ودعم العلاقات الإنسانية نظراً للانفتاح على الثقافات وكسر الحدود والحوجز المصطنعة، رغم أنه يتبادر للكثيرين تساؤلات حول كيفية التواصل والتعامل مع الآخرين في

الوقت الذي ينبغي لنا نحمي ونحصن أنفسنا من التواصل المباشر في تكنولوجيا المعلومات للحفاظ على الهوية والثقافة الموروثة، وعند محاولة الإجابة على هذه التساؤلات، يتبين لنا أن هنالك قضية أخلاقية بالدرجة الأولى؛ لأن الأخلاق وفلسفة الأخلاق تهتم بكيفية تعامل الأفراد مع بعضهم البعض، وتحدد الأخلاقيات التي يجب إتباعها في تصرفاتنا، وبما أن الأخلاق تشير إلى كيفية تعامل الأفراد مع بعضهم البعض، وإلى كيفية تعاملهم في حل القضايا المشتركة بينهم، فإن الأخلاقيات الرقمية تشتمل على كيفية تطبيق الأخلاقيات التي تحكم تصرفات مستخدمي عالم تكنولوجيا المعلومات، وكيفية تعامل المستخدمين مع بعضهم البعض، إضافة إلى الأخلاقيات التي يجب إتباعها في استخدام البرامج والبرمجيات والوسائط التي سيتم استخدامها لتكوين وإنشاء عملية التواصل.

إن العملية التواصلية التفاعلية تهدف بالنهاية الوصول إلى تفاهم مشترك، وبالعودة إلى الماضي فإن هذا التفاهم ساهم في تكوين المجتمعات البشرية، فتكونت المجموعات البسيطة التي تنتم بنفس الطابع الاجتماعي والثقافي والاقتصادي، ومن ثم أخذت شكلاً أكثر تعقيداً فتكونت الحضارات، ونحن اليوم نشهد التغيير الهائل في ثورة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الرقمية، والتي خلقت فعلاً مجتمعات جديدة، ليس فقط الواقعية منها بل الافتراضية، ومثال ذلك: المجتمع الافتراضي والعالم الافتراضي حيث تضم المجموعات والأفراد في عملية التواصل المبني على حرية الحوار والمناقشة ومشاركة الأحاسيس والتجارب العملية، إضافة إلى تقديم الدعم الذي توفره الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي في كل أنحاء العالم الواقعي، رغم أن التفاعلات عبر الإنترنت تضعف المجتمعات في العالم الحقيقي الواقعي، وذلك لأن مستخدمي الإنترنت والهاتف المحمول أكثر تفاعلاً وانخراطاً في المجتمع الافتراضي منه في المجتمع الواقعي. وهذه النقطة أكد عليها العالم جون بارلو (John Barlow)، الذي يرى أن: "التكنولوجيا الحديثة أدخلت سلوكيات وتصرفات جديدة؛ لأن الأطر الأخلاقية السابقة لم تعد قادرة على احتوائها". (Barlow, J. 1991: pp. 19-21)

وتقدم تقنيات الاتصالات الهاتفية والإنترنت والتخاطب المرئي ضمن الاتصالات الحاسوبية دمج بعض الإبعاد المختلفة، مثل الإيماءات والنظرات وتنغيم الصوت، إضافة إلى

الحديث عن الانتقال من "المجتمع الصناعي" إلى "مجتمع المعلومات"، وبعد أن كانت الموارد الطبيعية والصناعات التحويلية هي القوى الوحيدة الدافعة في اقتصادنا ومجتمعنا، أصبحت المعلومات اليوم هي الدافع الأول بدلاً من ذلك، وفي بداية التسعينات من القرن الماضي، بدأ الناس في الحديث عن "المعرفة في المجتمعات"، وبدأوا يدركون أن المعلومات لوحدها لا يمكنها إحداث تغيير مهم وتحويل الاتجاه نحو معالجة البيانات، وتحويل المعلومات وإدارتها في تشكيل تلك المعرفة. (حسن، أ. 2012) وقد أحدث التطور الهائل على أجهزة الحاسوب وشبكات الاتصال تغيراً هائلاً في جميع مناحي الحياة المعاصرة، حتى سمي العصر الذي نعيشه بالعصر الرقمي، لدخول عملية الحوسبة في المهام والوظائف التي يقوم بها الأفراد والمؤسسات والحكومات، وشملت مختلف المجالات، فأوجد ذلك الضرورة الملحة للاهتمام بالأخلاقيات الجديدة "الأخلاقيات الرقمية". فما هي طبيعة هذه الأخلاقيات الرقمية؟

إن الأخلاقيات الرقمية هي تلك المعايير الأخلاقية التي تهتم بشكل عام في العلاقة والتفاعل ما بين البشر والتكنولوجيا الرقمية في الوقت المعاصر، وتهدف إلى فحص هذه العلاقة التواصلية والتفاعلية أخلاقياً، بحيث تعمل على زيادة الوعي المرجو ضمن هذه العلاقة. (انظر: Ward, S. 2014)

وكما هو الحال في أي إشكالية أخلاقية، فإنه يمكن تكوين فكرة واضحة عن الأخلاق الرقمية من خلال طرح سلسلة من التساؤلات المتعلقة بهذا العالم الرقمي، حول النصوص والعوامل الافتراضية وحول طبيعة اللغة واللهجة المناسبة للتواصل، وطبيعة المبادئ والإرشادات التي تحكم مجتمع معين على الإنترنت، كذلك مراعاة كيفية استخدام المصادر المتوفرة ودمج هذه المصادر مع بعضها البعض أو تغييرها لجمهور معين، إضافة إلى كيفية إتمام المقاربة بين الخاص والعام، وكيفية تكوين الجماهير. مع أنه لا توجد قوانين صارمة تحكم قواعد السلوك في كيفية التواصل والتفاعل الرقمي، بحيث يكافئ مثل هذا التفاعل القوانين الصارمة التي تحكم قواعد السلوك في التواصل والمحادثة وجهاً لوجه، ولذلك برز الاهتمام في الأخلاقيات التي يجب تطبيقها في التواصل الرقمي، واتخاذ الأساليب المناسبة لإدارة الاتصال بطريقة أخلاقية، وظهرت برامج تنقية البريد الإلكتروني من الرسائل غير اللائقة وغير

سرعة الاستجابة ضمن العملية التواصلية والتشاركية بين البشر عبر تكنولوجيا المعلومات، لكن المشكلة تكمن في أن التطور الحاصل في وسائل الاتصال، لا يعزز الطرق التقليدية في التواصل، بل يؤدي إلى اندثارها شيئاً فشيئاً، ونلاحظ في عصرنا الحالي وعلى نحو متزايد، التغيرات في الطرق التي نختار استخدامها في عملية التواصل، إذ أن كثير من الناس في أماكن العمل قد يتجهون إلى إرسال رسالة إلى زملائهم في المكتب المقابل، بدلاً من السير في الممر والتحدث إليهم مباشرة. إضافة إلى أن المداولة العالمية والديمقراطية والتعامل والتواصل مع الآخرين عبر الإنترنت تختلف عن التواصل وجهاً لوجه، فالغموض والبعد عن التجسد والافتراضية، يعتبر جزءاً من العملية التواصلية عبر تكنولوجيا المعلومات، ولذلك فإن الأخلاقيات المتبعة في هذا النوع من عملية التواصل تدعم التعددية، فلا يمكن اعتبار أخلاقيات بلد أو عرق أو دين هي الأخلاقيات المطلقة، وبذلك فإن عملية دعم التعددية الأخلاقية هذه، هي أساس دمج الثقافات. (Ess, C. and Thorseth, M. 2010: pp. 163-180)

وتبرز أهمية التركيز على البعد التواصلية للعولمة، وعلى الأخص المناقشات المعاصرة في المداولات العالمية والديمقراطية التداولية والتواصل الحر والمفتوح، وإتاحة المجال للجميع التواصل من خلال أدوات تكنولوجيا المعلومات بأنواعها المختلفة التي تعزز من فاعلية التواصل مع الطبقات المهمشة والفقيرة، وبالتالي مجموعة واسعة من الناس تشارك في المداولات العامة وتتيح التعددية في طرح الآراء في المداولات الديمقراطية. (Ess, C. and Thorseth, M. 2010: pp. 163-180)

ولذلك، فإن "المشاركين في مناقشة ما، لا يمكنهم أن يحلوا بإدراك توافق حول ما يمكن أن نسميه القاسم المشترك المتساوي بين الجميع، وإلا إذا قام كل واحد منهم بالخضوع ذاتياً إلى ذلك التمرين الذي يمكننا من خلاله تبنى وجهة نظر الآخر بغية تحقيق زحزحة تدريجية لأننا عن المركز، وبالمرّة إزاحة للذات المتمركزة حول ذاتها، ومن ثم التخلي عن تلك النظرة المركزية في تعامل الفهم مع العالم القائم". (بورغن، ه. 2010: ص 22-23)

العصر الرقمي وأخلاقياته التواصلية

في بداية الثمانينات من القرن الماضي، ساد الكثير من

إن أكثر ما يحكم الأخلاقيات المتبعة في عملية التواصل الرقمي الأخلاقيات الحسنة الذاتية والخاصة بالشخص نفسه، وما يتحلى به من آداب وقيم أخلاقية، أكثر مما يحكمه من قوانين صارمة، فقد لا يكون هنالك مسائل أخلاقية ضمن اهتمام تكنولوجيا المعلومات في ذاتها، تضمن حسن الاستخدام لأنظمتها وأدواتها. ولذلك "لا بدّ للإنسان في تعامله مع أي إنسان آخر أن يفارق ذاته ويتجاوزها متجهاً نحو العالم ونحو الآخرين". (أحمد، إ. 2006: 137)

وتعد بعض الممارسات العملية لتكنولوجيا المعلومات وهي على نطاق واسع في المجتمع، مثيرة للجدل من الناحية الأخلاقية، فبعض الممارسات في استخدام الإنترنت لا تليق أديباً في بعض المجتمعات، كذلك فإن هنالك بعض الاستخدامات العلمية للأنترنت مبهمة من الناحية الأخلاقية، تماماً كاستخدام محركات البحث في البحث عن معلومة معينة، فالمستخدم لأدوات تكنولوجيا المعلومات يجهل كيف تمت هذه العملية، ويجهل الآلية المستخدمة في خوارزميات البحث المعتمدة لهذا المتصفح، وتجميع النتائج أو حتى آلية عرضها. ويصعب على المستخدمين تتبعه من الناحية الأخلاقية، كما أنه غالباً ما تكون الممارسات غير الشفافة أخلاقياً ذات إجراءات فنية بعيدة ومخفية عن أنظار المستخدمين غير المختصين وعن عامة الجمهور وقد استدعى ذلك كثيراً من الفلاسفة والباحثين الاجتماعيين البحث في الإشكاليات الأخلاقية لتكنولوجيا المعلومات سعياً في جعلها أخلاقيات واضحة ومكشوفة للجميع. (Brey, P. 2010: pp. 40-58)

وبالرغم من أننا نجهل الكثير من آلية عمل بعض التطبيقات والتي ربما تتعارض مع الأخلاقيات الموروثة في ثقافتنا إلا أننا نستخدمها دون التفكير في ذلك وقد يعود ذلك إما لنفتنا العمياء أو لجهلنا وابتعادنا عن الأمور الفنية، ويرى هيدغر (Heidegger, M.) وإن: "استعمالية الأداة تتوقف على الثقة، فالثقة هي التحديد الأساسي لكون الأداة، إننا لا يمكن أن نستخدم أداة إلا لأننا نطمئن مسبقاً إلى أننا يمكن أن نعتمد عليها، أن نعول عليها ونركن إليها، وفي استخدام مفهوم الثقة يكمن أن الناس هم الذين يتقون في الأداة، والأداة لا تثير انتباهنا في حالة الاستخدام العادي الخالي من التعثر". (هايدجر، م. 2003: ص27)

المرغوب فيها، وكذلك تنقية محتويات المواقع أو الرسائل من الصور الرقمية غير اللائقة وغير المهمة.

بات من المعروف اليوم أن التحول في التركيز من المعلومات إلى المعرفة، هو تطور ونقل نوعية في عالم المعرفة البشرية بوصفة نوعاً من الإبداعية للمجتمع؛ لأنه انعكس على قدرتنا على التفكير والتصرف بطريقة خلاقة. وقد أبرز انتشار التقنيات الرقمية الحاجة إلى التفكير الإبداعي في جميع جوانب حياتنا، وساعد الأدوات التي قدمتها تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في تطوير أنفسنا لأن نكون مبدعين، والتمتع بروح المبادرة وإنتاج المزيد من الاختراعات المتميزة والجديدة أكثر من أي وقت مضى. (Resnick, M. 2002) ومثل كل الثورات التكنولوجية، هنالك آمال وتفاؤل، أن العصر الرقمي سيحقق الشفافية، والعقلانية في الأسواق، وتأمين الوصول إلى المعلومات بشكل عادل للجميع، وتحقيق الغنى الثقافي في العالم للجميع، وتشكيل المجتمعات الدولية الجديدة، إضافة إلى تعزيز الحياة الصحية، وتحقيق الديمقراطية والرخاء للجميع، ولكن كيف يمكن أن يتحقق ذلك في ظل صعوبة الوفاء بهذا الوعد مع وجود ثمانين في المئة تقريباً من سكان العالم يعيشون في الدول النامية. (Keniston, K. and Kumar, D. 2003: p.5)

ويمكن اعتبار الأخلاقيات الرقمية طرفاً متجدداً في المعادلة الأخلاقية، حيث يصعب معها مقارنه أفعالنا واعتبارها فيما إذا كانت لائقة أديباً أو أخلاقياً أم لا، ذلك أن الأخلاقيات الرقمية ترتبط بالعالمية، فهي لا تتحدد في مجتمع معين، ولا يحكمها ثقافة بعينها، فليس هناك من جهة مسيطرة أو متحكمة تضمن إيجاد وتطبيق المعايير الأخلاقية المطلقة، لأن الأخلاقيات الرقمية تتموضع في بيئة وعالم مفتوح. ومن أهمها حالياً أخلاقيات الإعلام الرقمية التي تتعامل مع المشاكل الأخلاقية والممارسات والمعايير المختلفة في وسائل الإعلام الرقمية، والتي تشمل الصحافة الإلكترونية، والمدونات، التصوير الصحفي الرقمي والصحافة المحلية ووسائل الإعلام والتواصل الاجتماعية، والتي تشمل على الكثير من الأسئلة حول كيفية الصحافة المهنية تحت مسمى "الإعلام الجديد"، للبحث ونشر القصص والمواضيع الإخبارية والاجتماعية والثقافية، فضلاً عن كيفية استخدام النص أو الصور التي يتعامل بها مع المواطنين.

(انظر: Ward, S. 2014:)

باستمرار، كما أن الأساس السيكولوجي لاعتبار آرائنا الأخلاقية موضوعية، هو اكتشاف مدى تطابقها مع الآراء الأخلاقية السائدة، وغالباً ما يكون لأحكامنا الأخلاقية مرجع أو إشارة اجتماعية مباشرة. ونرى اليوم ما تحدته تكنولوجيا المعلومات والإنترنت من خلق عالم يتسم بالانفتاح والتحرر، وللانفتاح والتواصل مع الآخرين بطريقة لم نعهدها من قبل والتحرر من قيود المكان والزمان، وإتاحة الحرية للحوار والنقاش وتناول مختلف القضايا وتداول الأفكار. ويعد الاتجاه نحو الآخرين هو ما يميز الأشياء الصالحة أخلاقياً، وربما ينعزل بعض الزاهدين عن المجتمع ويؤدون واجباتهم الأخلاقية منفردين، لكن الإنسان هو الوحيد الذي يعيش في المجتمع ويتفاعل معه باستمرار، وكما يرى أرسطو "إن الإنسان الذي يعيش منفرداً أو منعزلاً، إما أن يكون وحشاً أو إلهاً". (وليام، ل. 2000: ص161)

وتعتبر مواقع التواصل الاجتماعي هي مواقع إلكترونية تتضمن تطبيقات حاسوبية على شبكة الإنترنت تسمح بمشاركة المعلومات، فنتيح لنا الالتقاء بالآخرين فنسميهم أصدقاء، وأشهر هذه المواقع الفيسبوك (Facebook.com)، ويرافق هذا الموضوع إثارة إشكالية وتساؤل أخلاقي: كيف يتحدى تكوين الصداقات عبر الإنترنت مفهومنا للصداقة؟

بناءً على تحليل أرسطو للصداقة، يرى أن البشر يحققون حياة جيدة وحقيقية من خلال تكوين الصداقات الفاضلة، وهناك أربعة أبعاد رئيسية لرأي أرسطو عن "الصداقة الفاضلة"، وهي: المعاملة بالمثل، والتعاطف، ومعرفة الذات والحياة المشتركة، وهذه توجد في وسائل التواصل الاجتماعي على الإنترنت في الطرق التي يمكن أن تعزز هذا الواقع عن الصداقة.

إلا أن مفهوم أرسطو عن "الحياة المشتركة" لا يمكن تحقيقه عبر الإنترنت، وبالتالي فإن وسائل التواصل الاجتماعي لا يمكن أن تؤيد تماماً فكرة أرسطو عن الصداقة الفاضلة - التي هي أفضل أنواع الصداقة بنظر أرسطو - بشكل كامل كما يرى فالور. (Vallor, S. 2012: pp. 185-199)

والأصدقاء، في "العيش معاً" الناتج عن تقاسم الحياة العقلانية، ومن خلال تبادل اللغة والفكر تتم من خلال المحادثة، والحياة العقلانية، حيث إن المحادثة هي سمة من سمات البشر وتمكننا من التفكير بشكل جماعي، ويجب تقييم إمكانية الصداقة على وسائل التواصل الاجتماعي، ثم علينا أن ننظر إلى أنواع

يبدو أحياناً أن مهمة تحديد أساس أخلاقي لنظرية ما بعد الحداثة هو مهمة يائسة، وأن المعايير الأصلية ترتسم بالأفق بعسر، والتساؤل المهم هو كيف يمكن أن نرقى لنبلغ فكر التأسيس الأخلاقي؟ قد تبدو المهمة صعبة في مجتمعات فضاءات تكنولوجيا المعلومات، وفي مواقع التواصل الاجتماعي، ولكنه واقع لا بد منه، وتساؤل دائم حول القضايا الأخلاقية الجديدة التي تنشأ في المجتمعات، والتي تكونها فضاءات تكنولوجيا المعلومات أو حتى المجتمعات الواقعية التي تغزوها تكنولوجيا المعلومات وأدواتها مع الاختلاف في الثقافات والعادات والقيم والدين. (روس، ج. 2001: ص19)

يرى هيرماس أنه رغم كل ما توصلت إليه التكنولوجيا، وما يشهده العصر من توفير وسائل وأدوات للاتصال والتواصل بين البشر، إلا أننا أصبحنا نعاني من وضعية اللاتواصل. كما إن العصر الحديث يتميز بظهور الفرد بوصفه كائناً يحوز وعياً مستقلاً، ومع ذلك يجد الإنسان نفسه في كل صراعاته الشخصية والنفسية ومصالحته الخاصة، محاصراً بنسيج من وسائل التواصل والتنظيمات والمؤسسات، واستلابه الحديث، وتجريده وفقدان هويته داخل العمل والترقية والاتصال، ولذا فإن الإنسان يبحث عن تعويض نسق بأكمله للشخصية من خلال الأشياء والعلاقات. (حسن، أ.: ص77-78)

التواصل الرقمي ومفهوم الصداقة

تستخدم مختلف الوسائط الرقمية في التواصل مع الأصدقاء في الحياة الواقعية ومع أفراد الأسرة، وهي فعالة جداً، وقد أثبتت وسائل الاتصال الرقمية في تكنولوجيا المعلومات نجاحها في عملية لم شمل الكثير من الأسر وأفرادها المتباعدين، ولاسيما إذا كان هنالك أسباب اجتماعية أو سياسية أو قانونية أو غيرها تمنع من التواصل المباشر والالتقاء المباشر.

وقد أوضح الفيلسوف هايدغر: "أن التكنولوجيا ليست فقط مجموع الأدوات والوسائل، مهما بلغت درجة تعقيدها، تلك التي يستعملها الإنسان، بل هي أفق فكري و"طريقة انكشاف" وكيفية في التفكير، ونمط للعلاقة مع الآخرين ومع العالم، إنها نمط في الوجود". (سبيلا، م. 2009: ص207) ولذلك فإن الفعل الفردي يؤثر على أفعال الآخرين رغم أن أفكارنا الأخلاقية تتطور مع أفكار من نتواصل معهم حيث يتم انتقادها وتعديلها

وأهم ما يتعلق بالإشكالات الأخلاقية التي تنشأ نتيجة التواصل من خلال مواقع التواصل الاجتماعي، هي مشكلة الخصوصية، ولهذا لا بد من اتباع سياسات أمنه في استخدام وسائل التواصل الاجتماعي لضمان الممارسة الأخلاقية المناسبة في احترام الخصوصية حيث أن عملية التواصل من خلال مواقع التواصل الاجتماعي، وما ينتج عنها من تبادل وتشارك المعلومات لا تتطلب الاهتمام بخصوصية المعلومات الشخصية الخاصة فينا فقط، وإنما في خصوصية المعلومات بالآخرين الذين نشاركهم ونقاسمهم نفس المعلومات.

كما لا بد من الوعي أن مسؤولية تبادل المعلومات على مواقع التواصل الاجتماعي والعملية التشاركية الناتجة تقع على عاتق من يرغب في تبادل المعلومات من حيث التحقق من دقة المعلومات وصحتها قبل تبادلها أو نشرها. كذلك، عدم وضع المستخدمين لمواقع التواصل الاجتماعي المعلومات الشخصية عن أنفسهم، إذا كان لديهم الشعور بالرغبة في التراجع في وقت ما في المستقبل، وحذف هذه المعلومات، وعدم إضافة المعلومات التي هي من نتاج عقل شخص آخر، ما لم تعطى الموافقة من قبل هذا الفرد، لأنه في كلتا الحالتين، متى تم تبادل وتشارك المعلومات، فإنه من المستحيل التراجع. (Sullins, J. 2012: p8)

الخاتمة

ليس بمقدورنا اليوم الوقوف أمام التقدم العلمي والتطور التكنولوجي؛ لأن من يفعل ذلك سيدخل في دائرة مفرغة بعيداً عن إنسان اليوم وستحكم الحضارة التي تنحّي نفسها بعيداً عن التطور على نفسها بالموت، ولذلك "فإنه يجب علينا أن لا نحارب التطور العلمي والتقني، ليس لأننا لا نستطيع ذلك بل لأن التطور العلمي والتقني أمرٌ ضروري جداً يقدم للإنسان الكثير الكثير من الفوائد التي باتت من المتعذر الاستغناء عنها من جهة، والتي يمكن أن تقود إلى فتوحات علمية ترتقي بالإنسانية أكثر وأكثر" من جهة أخرى. (أحمد، ع. 2013) ونحن اليوم بأمرٍ الحاجة لتفعيل دور فلسفة الأخلاق في توضيح "ما هو على المحك" ولا سيما المشاكل الأخلاقية المتعلقة بتكنولوجيا المعلومات لكي تمكنا من استخدام النظريات الأخلاقية في نظم القيم ووضع المعايير والضوابط

الأحاديث والأفكار والأنشطة المشتركة، التي تتم من خلال تكنولوجيا المعلومات. (Elder, A. 2014: pp. 2-4) ويقسم أرسطو الصداقات إلى أنواع منها: الصداقة القائمة على المنفعة، والصداقة القائمة على المتعة، وأفضلها الصداقة القائمة على الفضيلة، لأنها برأي أرسطو نادرة، ودائماً تتطور لتكون مترابطة وتدوم أكثر، ولأن أهل الناس الخيرين قليلين ونادرين لا يعني أن الصداقات الأخرى غير مجدية أو غير سارة، فالأصدقاء الحقيقيون جيدون مع بعضهم البعض، والصداقة الفضيلة لها قيمة خاصة كما يرى أرسطو، لأنهم يشتركون في حياتهم مع بعضهم البعض، وبذلك، يصبح كل من "الأنا للآخر" ملك الآخر، كما أنه يمكن الاستمتاع بالحياة مع الآخرين، أكثر من أن يكون الإنسان وحيداً، ومسألة المشاركة والتواصل مع الآخرين في الحياة أفضل شكل من أشكال الصداقة.

ويبدو في وسائل التواصل الاجتماعي وغيرها من أشكال التفاعل على الإنترنت، تناقض مع العيش المشترك، لأنها لا تتضمن المشاركة البدنية، ويمكن أن يكون التفاعل على الإنترنت مع أي شخص في جميع أنحاء العالم بسهولة بغض النظر عن مكانه، ولكن في تفسير ما يعنيه من الحياة المشتركة، يوضح أرسطو أن التواصل بين البشر الذين يعيشون معاً، يتم من خلال تبادل "المحادثة والفكر" وليس "كالرعي مع القطيع، مثل الماشية"، وبالتالي تبادل الأحاديث والأفكار المتوافقة معاً لصداقة الفضيلة. (Vallor, S. 2012: pp. 185-199)

إنّ التكنولوجيا بشكل عام وتكنولوجيا المعلومات بشكل خاص، ليست محايدة فيما يتعلق بالقيم، فالصداقة والثقة أمر ضروري لبناء ونجاح العلاقة بين الأصدقاء، فمثلاً الصداقة والعلاقة بين الطبيب والمريض، يتطلب في الأغلب الالتقاء والتفاعل وجهاً لوجه بين المريض والطبيب، إلا أن هذه القضية الأخلاقية يتم الاعتراض عليها في أمرين عند نشوئها عبر الإنترنت:

أولاً: قد تكون هذه المشاركات على الإنترنت أفضل من لا شيء على الإطلاق، ولذلك ينبغي تشجيعها في الحالات التي لا يوجد عنها بديل.

ثانياً: من غير الواضح أن الصداقة والثقة لا يمكن أن تزدهر في العلاقات الناشئة في الإنترنت. (Sullins, J. 2010: pp.

الاستفسار الإنسان في كل مرة على طريق الانكشاف".
(هيدجر، م. 1995: 71)

إن ثقافة تكنولوجيا المعلومات هي الطريقة الغالبة في تشكيل الهويات الثقافية اليوم ولذلك تُفرض هذه الهوية على الآخرين مما يدفعنا نحو التحليل الأخلاقي في الدور الذي تلعبه تكنولوجيا المعلومات في بناء المجتمعات الحديثة، ولا سيما مجتمعاتنا العربية؛ لأن المعايير والضوابط الأخلاقية هي في الواقع شرط ضروري لبناء الواقع الاجتماعي. لذلك لا بد من ضمان المساواة والعدل في توزيع تكنولوجيا المعلومات وامتلاكها، بالإضافة إلى التأكد من استخدامها بطريقة عادلة من قبل أفراد المجتمع لممارسة المواطنة العالمية بعيداً عن الآثار الكارثية التي نشهدها اليوم مثل: الاستعمار التكنولوجي والاعتزاب الثقافي للجماعات داخل المجتمعات والفجوة الرقمية. فنحن اليوم بأمس الحاجة إلى العالمية وإلى القواعد والمعايير الأخلاقية للتعايش في عالم مشترك يمتد للأجيال القادمة. وإن أفضل دور محوري يمكن لعبه حالياً إزاء هذا التحول هو التركيز على الأطفال، لأن الطفولة هي واحدة من أكثر فترات الإبداعية في حياة البشر، ولتحقيق هذه الأهداف سوف يتطلب أساليب جديدة في التعليم والتعلم، وأنواع جديدة من التكنولوجيا لدعم ذلك، والهدف النهائي هو خلق مجتمع من المبدعين الذين يعملون على تقديم اختراعات باستمرار مع توفير إمكانات جديدة لأنفسهم ومجتمعاتهم.

المعلومات وتحديث المجتمع، القاهرة: عين للدراسات والبحوث

الإنسانية والاجتماعية، ط1.

سبيلا، م، 2009، مدارات الحداثة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط1.

لشهب، ح، 2013، يورغن هابرماس وجوزف راتسنغر، جدلية العلمنة العقل والدين، لبنان: جداول للنشر والترجمة والتوزيع.

وليام، ل، 2000، مقدمة في علم الأخلاق، ترجمة: عبد المعطي محمد، الإسكندرية: منشأة المعارف، ط2.

مالفي، ع، 2004، "مفهوم الديمقراطية عند هابرماس"، القاهرة: مجلة أوراق فلسفية، العدد 10.

مل، ج، 2012، النفعية، ترجمة: سعاد شاهري حرار، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ط1.

هايدجر، م، 2003، كتابات أساسية الجزء الأول، ترجمة: إسماعيل المصدق، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ط1.

الأخلاقية التي يمكن تطبيقها في حل الإشكاليات والقضايا الناشئة أو التي سادت سابقاً وتطورت لاحقاً. كما أن التفكير الأخلاقي ربما يكشف عن كثير من العيوب في السياسات المتبعة في تطوير تكنولوجيا المعلومات وفي التكنولوجيا الناشئة بشكل عام، ولا بد من المزيد من الدراسات والأبحاث في هذا المجال من أجل ضرورة خلق مجتمع المعلومات ونشر ثقافة التكنولوجيا. ويجب "أن لا نسمح أن تسلب التقنية من الإنسان إنسانيته، ونحن نشهد اليوم غياب المعيار الأخلاقي أو بما يسمى إندثار القيم الإنسانية". (أحمد، إ. 2006: 129)

وهذا يضع المسؤولية الكبيرة على المنظمات العالمية والدول وصناع القرار، وعلى الأفراد ضرورة التفكير في أبعد من مجرد الحقائق والنظريات ذات الصلة بالمعايير الحالية، بل لا بد من الوصول إلى أبعد من الحاضر وإلى جهد أكبر من الباحثين سعياً في التطلع إلى المستقبل، وعدم الانجراف وراء ما تمليه علينا الحداثة دون التفكير في الأثر الذي تحدثه والتسليم بأنه أمر حتمي. ويرى هايدجر أنه: "تكمين ماهية التقنية الحديثة في الاستفسار، وهذا الأخير جزء من مصير الانكشاف، وهذه القضايا تقول شيئاً آخر غير التأكيدات التي نسمعها كثيراً، والتي تعتبر التقنية قدر لعصرنا، حيث تعني كلمة قدر هنا كل ما هو محتم في سيروته لا يمكن تعديلها. وتكمين ماهية التقنية في الاستفسار الذي تشكل قوته جزءاً من المصير ويضع هذا

المصادر والمراجع

المراجع العربية

أحمد، إ.، 2006، إشكالية الوجود والتقنية عند مارتين هايدجر، الجزائر: منشورات الاختلاف، ط1. أحمد، ع. (2013)، الثورة التكنولوجية وأثرها في تغيير القيم، دمشق: مجلة جامعة دمشق، 29 (4+3).

بوبر، ك، 1998، المجتمع المفتوح وأعداؤه، ترجمة: السيد نفادي، لبنان: دار التنوير للطباعة والنشر، ط1.

حسن، أ، 2012، يورغن هابرماس الأخلاق والتواصل، بيروت: التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، ط1.

روس، ج، 2001، الفكر الأخلاقي المعاصر، ترجمة: عادل العوا، بيروت: عويدات للنشر والطباعة، ط.

سالم، م، 2002، العصر الرقمي وثورة المعلومات: دراسة في نظم

هيدجر، م، 1995، *التقنية - الحقيقة - الوجود*، ترجمة: محمد سبيلا وعبدالهادي مفتاح، بيروت: المركز الثقافي العربي، ط1. يفوت، س، 1997، هيرماس ومساءلة التقنية، *مجلة فكر ونقد*، المغرب: العدد الأول السنة الأولى.

يورغن، ه، 2003، *العلم والتقنية كأيديولوجيا*، ترجمة: حسن صقر، ألمانيا: منشورات الجمل، ط1. يورغن، ه، 2010، *إتيقيا المناقشة ومساءلة الحقيقة*، ترجمة: عمر مهيبيل، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون والجزائر: منشورات الاختلاف.

المراجع الأجنبية

- Barclay, E. 2008. Indigenous groups document environmental destruction using GPS and Google Earth. Retrieved December 27, 2008 from: www.treehugger.com/files/2008/01/indigenous_peru.php
- Brey, P. 2010. Values in technology and disclosive computer ethics, In the Cambridge Handbook of Information and Computer Ethics.
- Bynum, T. 2010. The historical roots of information and computer ethics, In the Cambridge Handbook of Information and Computer Ethics.
- Castells, M. 2013. "Chapter 2: Communication in the Digital Age", Communication Power Oxford University Press.
- Connolly, R. and Fedoruk, A. 2014. Why Computing Needs To Go Beyond Good And Evil Impacts. In 20th Annual ETHICOMP (2014) (Paris).
- Connolly, R. 2011. Beyond good and evil impacts: Rethinking the social issues components in our computing curricula. ITiCSE'11.
- Johnson, D. 1997. Computer Ethics. The Blackwell Guide to the Philosophy of Computing and Information. Blackwell Publishing.
- Elder, A. 2014. Virtual Friends Can Be Virtue Friends, Southern Connecticut State University.
- Ess, C. and Thorseth, M. 2010. "Global information and computer ethics." In The Cambridge Handbook of Information and Computer Ethics, Cambridge: Cambridge University Press.
- Floridi, L. 2010. "Ethics after the Information Revolution. In The Cambridge Handbook of Information and Computer Ethics, Cambridge: Cambridge University Press.
- Horniak, V. 2004. PRIVACY OF COMMUNICATION ETHICS AND TECHNOLOGY", Master Thesis in Computer Engineering, Department of Computer Science and Engineering, Mälardalen University.
- Barlow, J. 1991. Coming into the Country Communications of the ACM, 34(3): 19-21.
- Johnson, D. 1985. Computer Ethics. Prentice-Hall (2nd edn 1994; 3rd edn 2001).
- Keniston, K. and Kumar, D. (2003), the four digital divides. Online erişim, 21, 2010.
- Lee, K. 2002. Impacts of Information Technology on Society in the new Century.
- Maner, W. 1980. Starter Kit in Computer Ethics. Helvetia Press (published in cooperation with the National Information and Resource Center for Teaching Philosophy).
- Marturano, A. 2002. The role of metaethics and the future of computer ethics. Ethics and Information Technology.
- Michelfelder, D. 2000. Our moral condition in cyberspace. Ethics and Information Technology 2, Kluwer Academic Publishers. Printed in the Netherlands, 2: 147-152.
- Moor, J. 1985. "What Is Computer Ethics?" In T. W. Bynum (ed.), Computers and Ethics. Blackwell, (Published as the October 1985 issue of Meta philosophy).
- Moor, J. 2005. "Why We Need Better Ethics for Emerging Technologies", Ethics and Information Technology, 7 (3): 111-119. Reprinted in van den Hoven and Weckert 2008.

- Resnick, M. 2002. Rethinking Learning in the Digital Age. In The Global Information Technology Report: Readiness for the Networked World, edited by G. Kirkman. Oxford University Press
- Sullins, J. 2012. "Information technology and moral values". Stanford University, USA.
- Sullins, J. 2010. Rights and computer ethics. In The Cambridge Handbook of Information and Computer Ethics, 116-132. Cambridge: Cambridge University Press.
- Tavoni, H. 2001. The state of computer ethics as a philosophical field of inquiry: Some contemporary perspectives, future projections and current resources. Ethics and Information Technology.
- Vallor, S. 2012. Flourishing on Facebook: Virtue friendship & new social media. Ethics and Information Technology.
- Ward, S. 2014. Digital Media Ethics, University of Wisconsin, center for Journalism ethics, <http://ethics.journalism.wisc.edu/resources/digital-media-ethics>

Digital Ethics and Modernity in Human Communication

Ahmad A. Al Ahmad, Majeda A. Omar, Amjad A. Hudaib***

ABSTRACT

The digital revolution and technological development in the new human civilization increases the degree of complexity and takes global dimensions punctuated by many challenges and ethical dilemmas. This research concerned with digital age ethics that must be given more attention in order to solve and avoid the ethical problems emerging. The research found the need to think about beyond the facts and theories relevant to the present and should provide more attention and contribute in spreading awareness of the culture of technology and technology ethics.

Keywords: Ethics, Information technology, Communication technologies, Computer Ethics.

* Faculty of Art, The University of Jordan, Jordan.

** Faculty of King Abdullah II School for Information Technology, The University of Jordan, Jordan.

Received on 11/1/2016 and Accepted for Publication on 27/9/2016.